

النهار (نهار الكتب)، 16 نيسان 1997
الكتاب: نحو استراتيجية جادة لعمل عربي موحد
المؤلف: العميد الركن ياسين سويد
دار النشر: النفانس، بيروت - 260 صفحة

صرخة في واد!

عبد الرؤوف سنو
أستاذ في الجامعة اللبنانية

يحاول كتاب نحو استراتيجية جادة لعمل عربي موحد للعميد الركن ياسين سويد، أن يضع تصوراً واضحاً لطريقة التعامل مع مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي يهدف إلى إعادة صياغة الخريطة السياسية لمنطقة الشرق والدول العربية وتوجيهها وفق الرؤيا "الشرق الأوسطية" التي تسعى لجعل إسرائيل المركز القطب فيها...

يحدد سويد خمسة أهداف رئيسية ينبغي أن يتركز عليها الاشتغال السياسي العربي في سبيل صياغة استراتيجية جادة لمواجهة إسرائيل، أولها تحقيق الديمقراطية والتحرر من التخلف. لكنه يقرّ صعوبة ذلك، إذ يتطلب معركة شرسة ضد أنظمة الحكم العربية التي ستدافع حتماً عن مواقعها. يستتبع ذلك، عملية النهوض بالوعي القومي، لأن تناقض مصالح الكيانات العربية وأنظمتها مع بعضها بعضاً، يشكل خطراً على مسار الوحدة العربية. والتوحيد القومي هو هاجس هذه الدراسة. ثم يعدد المؤلف أبرز مشاريع التوحيد العربية والتي لم يكتب لها النجاح، باستثناء حالتي اليمن ودولة الإمارات العربية المتحدة. فيعزو أسباب الفشل إلى "تأمر الاستعمار ودسائسه"، وعدم جدية الأنظمة الحاكمة في هذه المسألة. وإذ يرى صعوبة، بل استحالة التغلب على مفهوم الكيانية الإقليمية العربية في ظروف المصالح الشخصية للأنظمة العربية وتناقضها وغياب تعبئة جماهيرية وحدوية للشعوب العربية وسيادة نظريتي النظام العالمي والشرق الأوسط الجديدين، يقدم لنا المؤرخ سويد تصوره لـ "مضمون جديد لمفهوم الوحدة العربية" يقوم على أساس الإعداد لحياة اجتماعية - اقتصادية - ثقافية عربية مشتركة واستبدال "جامعة الدولة العربية" المنهارة الممثلة الأنظمة العربية بـ "جامعة الشعوب العربية" بمؤسسات إقليمية وقومية تحقق تطلعات الشعوب العربية وإمكان إقامة وحدة حقيقية، اندماجية أو اتحادية قد تكون "الوحدة الأوروبية" نموذجاً لإحدى مراحلها: وحدة المصالح الاقتصادية التي تقود إلى نوع من الوحدة السياسية الاتحادية.

أما الهدف الخامس والأخير، فيجب أن يتجه، كما يرى المؤرخ، نحو التحرير من العدو الصهيوني. وإذا يعترف سويد بأن هذا الهدف يبقى مؤجلاً في الوقت الراهن ويستلزم تحقيق مقدمات عديدة لإنجازه، إلا أنه يؤكد ضرورة الاستعداد لهذه المرحلة وعدم إغفال دور العرب الفلسطينيين المقاومين الذين يعيشون في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ عام 1948.

وبنقد لاذع لمشروع الشرق الأوسط الجديد والأنظمة العربية الساعية إلى "السلام من البوابة العبرية"، يختم ياسين سويد الفصل الأخير من كتابه بالشعار الذي طرحه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وهو أن "ما أخذ بالقوة، لا يُسترد بغير القوة".

ولعل الطوق الذي يظهر على غلاف كتاب المؤرخ سويد ويحيط بالوطن العربي يعبر عن مأزق الاستسلام الاختتافي الذي تعيشه الأنظمة والشعوب العربية في عصر السلام الإسرائيلي – الأميركي والنظام العالمي والشرق الأوسطي الجديدين. فهل يُستجاب لهذا التحدي باستراتيجيا عمل عربي موحد، أم تبقى صرخة الغضب القومية للواء سويد صرخة في واد؟